قراءة في كتاب: محمد عبده غانم.. شاعراً وكاتباً مسرحياً للأستاذ الدكتور أحمد علي الهمداني

استمتعتُ كثيراً، وأنا أقرأ كتاب الأستاذ الدكتور الباحث الكبير أحمد علي الهمداني (محمد عبده غانم.. شاعراً وكاتباً مسرحيّاً)، وحقّاً أستطيع أن أقول في حقّه، إنّه من أجلّ وأرفع كُتب الدكتور الهمداني. والحقيقة أن كلّ كُتب الدكَتور الهمداني التي صدرت له، تؤكّد حقيقة الرجل، أنّه أديب كبيرٌ وباحثٌ صنديد. وأن خروج هذه المؤلّفات لتؤكّد حقيقة أن الرجل يُسدي خدمةً كبيرةً للمكتبة اليمنية خاصة، والمكتبة العربية عامّة. وأنا سعيدٌ جداً أن أهداني الدكتور الهمداني بعض كتبه الرفيعة المستوى والهامّة.

أمين الميسري

إن كتاب (محمد عبده غانم.. شاعراً وكاتباً مسرحيّاً) يُعدّ كتاباً – في رأيي الشخصي – متكاملاً وريادياً، ومرجعاً مهمّاً في دراسة هذا الأديب، حياته وشعره ومسرحه.

يخرج الكتاب في طبعته الثانية سنة2012م في حلّة أنيقة من الطباعة والإخراج الفني، والورق الأبيض الواضح.

وفي طبعته الأولى الذي أخرجه المؤلّف سنة2005م، كان الكتاب باسم (محمد عبده غانم شاعراً من الرومانسية إلى الكلاسيكية).

وفي طبعته الثانية مزيدة ومنقّحة، أصبح عنوان الكتاب – كما يقول المؤلّف- (محمد عبده غانم شاعراً وكاتباً مسرحيّا: البدايات والنهايات)، وقد اقتضت إضافات معقولة ومقبولة تغيير العنوان الأول للكتاب) (ص2). بل لقد أضاف المؤلّف فصولا أخرى للكتاب. وهنا تأتي أهميّة الكاتب الكبير، الذي يرعى كتابه أو كتبه كالأبناء، وفي كل مراحل حياتهم العمرية.

هذا الكتاب يسدّ نقصاً كبيرا في أعلام الأدب والشعر والمسرح في اليمن. وقد توفّر لهذا الكتاب ناقد كبير ورصين، وباحثٌ حصيف، وتجربة إبداعية كبيرة وباع في المنهجيّة ،وأكاديميّ متخصص في الدراسات الأدبية والنقدية إنه الدكتور أحمد علي الهمداني.

والحقيقة أن الكتاب أبهرني كثيراً في كل ما طرحه المؤلّف عن الشاعر الكبير محمد عبده غانم. لم يترك شاردة ولا واردة؛ إلاّ ذكرها. أضف إلى ذلك أن الناقد الهمداني كان منصفاً، وعلى حيادية تامة في آرائه الجريئة والصائبة في كل فصل من فصول الكتاب. فالرجل يطرح- على الشاعر- ماله وما عليه بكل شفافية وأريحيّة.

إن المنهج الذي اتخذه الأستاذ الدكتور الهمداني في كتابه – هذا - هو المنهج التاريخي. (فالمنهج التاريخي للأدب هو المنهج الذي يصار فيه إلى دراسة الأديب وأدبه أو الشاعر وشعره من خلال معرفة سيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشعري؛ في عبارة أخرى، هو المنهج الذي يُعنى بدراسة الأديب، بمعرفة العصر الذي عاش فيه والأحداث العامة والخاصة التي مرّ بها، وبدراسة النص في ضوء حياة ذلك الأديب وسيرته والظروف التي أثّرت عليه. أي أن الأحداث التاريخية وشخصية الأديب يمكن لها أن تكون عوامل مساعدة على تحليل النص الأدبي وتفسيره. ولهذا نرى أن هذا المنهج يعمل على إبراز الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها النص، دون الاهتمام كثيراً بالمستويات الدلالية الأخرى التي يكشف عنها هذا النص ودراسة مدى تأثيره على القارئ. (موقع معابر.. دراسة نقدية بعنوان (المنهج التاريخي في الأدب) للناقد خالص مسور على النت).

كما استخدم الهمداني منهج تحليل النصوص، وربّما كان التذوّق الأدبي للنّص دَيْدَنَه ومراده الإبداعي. وهذا التذوق الأدبي للنص، قد عرف عند علامة العربية الشيخ محمود شاكر في كثير من مؤلفاته وتحقيقاته.

قسم الناقد الدكتور الهمداني كتابه إلى ستة فصول على النحو التالي:

أولا محمد عبده غانم البدايات والنهايات.. المدخل إلى السيرة الإبداعية والعملية.

ثانيا: محمد عبده غانم شاعراً.. من الرومانسية إلى الكلاسيكية.

حقائق وأرقام.

(1) ديوان على الشاطئ المسحور(1964م)

(2) ديوان موج وصخر (1962م)

(3) ديوان حتى يطلع الفجر (1970م)

(4) ديوان في موكب الحياة (1972م)

(5) ديوان في المركبة (1979م)

(6) ديوان الموجة السادسة (1985م)

(7) ديوان الأنامل الجافة (1999م)

ثالثا: محمد عبده غانم القصائد المغناة الفصحى والعامية

رابعا: الخصائص الفنية وعناصر التجديد

مقدمات التجديد

حقائق التجديد

عناصر التجديد

محاولات التجديد

خامسا: القصيدة الجديدة في تجربة غانم الإبداعية.

سادسا: محمد عبده غانم: المسرحيات الشعرية : الأصالة والتجديد.. من التاريخ إلى الفن.

التمهيد.

مسرحيات غانم.

(1) مسرحية سيف بن ذي يزن.

(2) مسرحية الملكة أروى أو بلقيس الصغرى 1976م

(3) مسرحية عامر بن عبدالوهاب 1976م

(4) مسرحية فارس بني زُبيد (1984م و1985م)

(5) مسرحية علي بن الفضل 1999م

الخلاصة.

وسنقف مع بعض فصول الكتاب: قبل الولوج إلى فصول الكتاب، نشير إشارة عابرة، الى ان الكتاب قد مر على تأليفه عشرون عاما، كما يقول المؤلف:(..من المهم الإشارة إلى أنه قد مرّت عشرون عاما منذ تأليف الكتاب في طبعته الأولى، ولا أقول منذ صدوره؛ ذلك أن الكتاب كان أنجز في صورته الكاملة والتامة في مستهل التسعينيات، وقد قدّمت نسخة مخطوطة مصورة منه إلى الدكتور محمد صالح الريمي عندما جاءني إلى مكتبي قبل أن يشرع في كتابة أطروحته، وأظنه أشار إلى ذلك في مقدمة عمله، كما قال لي، إذ لم أستطع الوصول إلى أطروحته والاطلاع عليها للتحقق من ذلك، وهو عندي ثقة وصديق عزيز) (الكتاب نفسه ص8).

في الفصل الأول (محمد عبده غانم: البدايات والنهايات المدخل إلى السيرة الإبداعية والعلمية).

لقد أحسن الدكتور الهمداني صنعاً حين لملم أشتات السيرة الذاتية للدكتور محمد عبده غانم، التي وجدها متناثرة هنا وهناك كما يقول الناقد. والحقيقة أن الناقد قدّم خلاصة وافية لسيرة الدكتور غانم في سلاسة وعذوبة.

قسم الناقد سيرة الشاعر محمد عبده غانم إلى مرحلتين أو ثلاث مراحل. يقول الدكتور الهمداني:(ونحن نجد مرحلتين(أو ثلاث مراحل) في تجربته الإبداعية والعملية على امتداد حياته كلّها، وهو الذي عمل او ينوي العمل حتى السنوات الأخيرة من عمره، هاتان المرحلتان هما على النحو التالي:

(1) المرحلة الأولى: وهي مرحلة التأسيس والتأصيل، وتمتد من ولادة الشاعر عام1912م حتى 1972م عندما غادر عدن من أجل العلاج، وعمل مدير شركة تجارية في جيبوتي حتى1974م عندما رحل إلى السودان.

ويمكن أن تكون هذه هي الفترة العدنية الذهبية في تجربة غانم الإبداعية والعملية، وهي تجمع داخلها عدن وبيروت ولندن وجيبوتي، وهي النشاط الفاعل والعمل الخلاق والإبداع الفعال من كل الجوانب. وغير أن السنوات القليلة الأخيرة في هذه المرحلة كانت تحمل معاني الإحباط الذي سرعان ما يزول عندما وجد الشاعر نفسه من دون عمل بعد عودته من لندن وإكمال الحصول على متطلبات الدكتوراه في آداب اللغة العربية، فلم يقبله القائمون على جامعة عدن في ذلك الوقت وأقفلوا الباب في وجهه فغادر إلى جيبوتي ومنها الخرطوم للعمل في جامعتها منذ1974م . (ص21).

(2) المرحلة الثانية: وهي مرحلة التكامل والاكمال، وهي تمتد منذ خروج محمد عبده غانم عن عدن مجبراً عام 1972م طلباً للعلاج وبحثاً عن العمل بعد أن منع منه في مدينته عدن التي أحبّها وخدمها والتي أحبته، واحتضنت موهبته ورعت نشاطه الفكري والعمل وحياته الشخصية ستين عاماً. وكان محمد عبده غانم قد طلب التقاعد الاختياري من المعارف في عدن من أجل ان يتفرّغ لدراسة الدكتوراه، وعمل مديراً في شركة شهاب للتأمين (1963م - 1967م)، وكان ذلك خارج العمل الحكومي الرسمي الذي خرج غانم منه إلى التقاعد الاختياري عام 1963م، ثم عمل بعدها رئيس مجلس إدارة ميناء عدن (1967م - 1968م). على أن كل ذلك ينتمي إلى المرحلة الأولى من تجربته الإبداعية والعملية.

غير أن الشاعر سرعان ما يعود إلى الواجهة ويصبح رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الخرطوم (1974 - 1977م)، ثم عميد كلية التربية، وأستاذ الأدب العربي في جامعة صنعاء (1977 - 1980م)، ثم المستشار الثقافي في سفارة اليمن في أبوظبي (1980 - 1984م)، ثم أستاذ الأدب العربي ومستشار رئيس جامعة صنعاء وعميد الدراسات العليا في الجامعة نفسها (1984 - 1993م) حتّى قبيل وفاته بعام واحد. (ص 23 و24).

وعن العمل السياسي عند محمد عبده غانم يقول الناقد: (..من المهم الإشارة في هذا السياق إلى أن غانماً لم يسهم في العمل السياسي في أي شكل من أشكاله، وفي أية صورة من صوره، وظل بعيداً عن معترك السياسة، وإن لم يسلم من أصحاب العقول التآمرية، ولم يشارك غانم في النضال السياسي الوطني. وربما كان خلو أعماله من التعبير عن موقفه من الهجرة الأجنبية إلى عدن هو دليل على ذلك الابتعاد. ذلك أن الهجرة الأجنبية كادت أن تجعل عدن وطناً للأجانب وحدهم، وكاد الانجليز أن يغرس شوكة أخرى في قلب الأمة العربية والإسلامية في عدن، لولا ثبات الحركة الوطنية اليمنية وصمود محمد علي لقمان المحامي الذي قاد نضالاً سلمياً لا هوادة فيه في وجه الاحتلال والأجانب القادمين من وراء البحر، الذي دافع دفاعاً حاراً وشاقاً عن عروبة عدن. وإذا كان آل لقمان وفي مقدمتهم محمد علي لقمان قد احتضنوا الأحرار في عدن، وساعدوهم في المال والمسكن والوظيفة؛ فإن الأحرار لم يقدموا شيئاً إلى آل لقمان عندما جار عليهم الزمن واعتدى عليهم الآثمون، واضطر بعضهم أو معظمهم إلى مغادرة عدن والعيش في مختلف أصقاع العالم، فقد روى لي أحدهم أن الشاعر الكبير علي محمد لقمان الذي آوى الأحرار في عدن، كان ينام في تعز على الأرض). (ص 33 و34).

وفي الفصل الثاني (محمد عبده غانم شاعراً من الرومانسية إلى الكلاسيكية) خصّص الناقد لدراسة كل دواوين الشاعر محمد عبده غانم السبعة، وقدّم لها باستفاضة مذهلة، ودَرَسَ كل ديوان على حدة، وطرح نقداً جادّاً دون أية مجاملة أو رتوش.

يقول الناقد الهمداني عن ديوان (موج وصخر) الصادر سنة 1962مثلا:

(....على هذا الأساس يشكل ديوان (موج وصخر) (1962م) تنويعة أخرى إلى حد ما على ديوان (على الشاطئ المسحور) (1946م) في كثير من اتجاهاته الموضوعية والفنية على السواء. وقد جمع هذا الديوان قصائد كتبت على امتداد أربعة عشر عاماً منذ عام 1948م حتى عام صدوره 1962م، وبعد أن استجدت في هذه الفترة الزمنية الطويلة كثير من التحولات والتقلبات على صعيد حياة الشاعر الشخصية وعلى صعيد الواقع الاجتماعي والسياسي الذي ظل مختفياً في هذا الديوان إلى حد كبير. وربما كان مصدر اختفاء هذا المضمون الاجتماعي في هذا الديوان يعود إلى أن الشاعر قد كتب قصائد هذا العمل الشعري الثاني في كل من عدن وهرجيسة والسودان ولندن وباريس وربما في غيرها من المدن الأوروبية أو الإفريقية. من هنا تتفاوت مضامين ومحتويات هذه القصائد نتيجة اختلاف الزمان والمكان اللذين كتبت فيهما الأعمال التي اندرجت في إطار هذا الديوان الشعري الثاني.

ولم يستفد الشاعر من إقامته في بريطانيا عاما كاملا بين العامين 1948 و1949م، في تحديد الشكل والمضمون الشعريين الذي كان من الممكن أن تحمله عليه اتجاهات الشعر الإنجليزي القديم والحديث، ولم يكن محمد عبده غانم نموذجاً فريداً من هذه الناحية، إذ ما يصدق عليه في هذا المجال يصدق على كثيرين غيره عاشوا او درسوا في لندن أو غيرها من العواصم الأوروبية من الشعراء اليمنيين أو العرب.

يحتوي هذا الديوان على كثير من موضوعات الشاعر السابقة التي امتازت في ديوانه (على الشاطئ المسحور) بخصائص وأبعاد جعلت الشاعر في طليعة المجددين. على أن الشاعر يتقدم خطوات إلى الأمام في بعض موضوعاته. نحن نجد في هذا الديوان إلى جانب قصائد الغزل والحب، وقصائد الاستمتاع بالجمال البشري وجمال الطبيعة في أوروبا وإفريقية، قصائد في أسرة الشاعر، أبنائه وزوجته، وقصائد ذات مضمون اجتماعي تاريخي، لكنها قليلة في الديوان مقارنة بالشعر الذاتي الشخصي المبثوث فيه.) (ص 66 و67).

ونقفز إلى الفصل السادس المعنون بـ (محمد عبده غانم: المسرحيات الشعرية الأصالة والتجديد: من التاريخ إلى الفن).

الحقيقة أن الناقد الدكتور الهمداني كان ملمّا بالنقد المسرحي إلماماً كاملا، وربما يعود ذلك إلى دراسته العميقة لعمالقة الأدب الروسي، ويأتي في مقدمتهم تشيخوف الذي عرف قاصاً ومسرحياً، وأخرج عنه رسالته القيّمة (للدكتوراه) (تشيخوف في النقد العربي).

إن النقد الذي قدّمه الناقد الهمداني لمسرحيات محمد عبده غانم الشعرية كان نقداً صائباً ومحقّاً فيه، أكاد أتفق معه في كل ما طرحه من تحليلات وتفسيرات، ورؤية فاحصة ثاقبة. ولنا أن نقف وقفة نقدية عند نقده لمسرحية(سيف بن ذي يزن) كنموذج لناقد مسرحي كبير.

يقول الهمداني:(نشرت هذه المسرحية لأول مرة عام 1964م في دار العلم للملايين في بيروت وأعادت الدار اليمنية للنشر والتوزيع عام1986م نشرها، ودخلت هذه المسرحية في مجلد أو كتاب(المسرحيات الشعرية الكاملة)الصادر عام 2009م،وإذا كانت هذه المسرحية قد نشرت لأول مرة عام1964م؛ فإن غانماً، كان قد أنجزها في النصف الثاني من خمسينيات القرن المنصرم.

يقف في مركز مسرحية سيف بن ذي يزن البطل الرئيس الذي أصبح اسمه عنوان المسرحية، وهو الأمر الذي يدل منذ البداية على أن لدينا أو أمامنا بطلاً ترتبط به الشخصيات الأخرى في المسرحية من هذه الناحية أو تلك. إذ يصبح هو المركز الذي تنجذب إليه الأحداث أو الشخصيات في هذه الصورة أو تلك، ولا يمكن أن يحدث شيء في المسرحية خارج وجوده وكينونته إلا في النادر أو في بعض الأحيان والمواقف او الحالات، وإن كان غير موجود على خشبة المسرح.

لكننا يجب أن نشير إلى أن سيفاً يغيب تماما عن خشبة المسرح في الفصل الثالث، ويغيب في المشهد الثاني والثالث من الفصل الأول، ويغيب في المشهد الثاني والرابع من الفصل الثاني. والحقيقة يخصص الكاتب الفصل الثالث لمحاولة أبرهة الأشرم غزو مكة وعودته منهزماً ومدحوراً بمشيئة الله. ونحن لا نستطيع أن نستوعب علاقة كل ذلك بسيف الذي كان بعيداً عن هذا، وإن كان قد حدث ذلك في عصره وزمنه، وربما بدا أن الكاتب كان يسعى إلى مسرحية متعددة الأقطاب والأصوات. لكن شيئاً من هذا لا يحدث على امتداد المسرحية، إذ يظل سيف هو المركز، ولا يتقدّم غانم خطوة واحدة في اتجاه خلق مراكز متعددة تنهي سلطة البطل الرئيس وسيطرته على الأحداث الحاسمة المرتبطة بالمصير الشخصي والمصير العام.) (ص 215 و216).

إن كتاب الأستاذ الدكتور أحمد علي الهمداني(محمد عبده غانم.. شاعراً وكاتباً مسرحياً) يعدّ من المراجع الأساسية والهامة عن الشاعر غانم، وهو كتاب جدير بالقراءة والمطالعة.

هامش:

كتاب محمد عبده غانم ..شاعراً وكاتباً مسرحياً. تأليف: د/ أحمد علي الهمداني. الطبعة الأولى 2012م (مركز عبادي للدراسات والنشر. صنعاء - الجمهورية اليمنية)، يقع الكتاب في 259 صفحة من القطع المتوسط.

نص

درب الكرامة

كمال محمود اليماني

جئتكم من أرض غزةَ صاعداً
من حواري خانَ يونس
بيتِ حانون
ومنَ رفح الكرامةْ
جئتُ أعَلي هامتي
وأقبّلُ الشمسَ العتيدة
ناصباً عودي
وأعلو..
فوق هام النصر هامة
قادني قدمي لدَرب
قيل: قفْ ..اصبرْ..ً تريثْ
إنه دربٌ عصيٌ
في نهايته الندامة
قف تصبَر
قف تبصَر
إنهم آلاتُ حرب
إنهم ويلاتُ شعبٍ
من تقاومْ ؟!!
ليسِ يُجدي أن تقاوم
هاك .. ذا
دربُ السلامة
كان صوتُ القصف يعوي
كان صاروخ يدوّي
كان بيتُ الله يهوي
يسكبُ الباغيِ ظلامه
حيثما وجهتُ عيني
أبصرتْ ظلمَ الحصار
هاهنا موتٌ وجرحى
هاهنا مشفىً تهاوى
بين دخان ونار
هاهنا بيتٌ تهدم
ها هنا طفلٌ تفحم
هاهنا أمٌ ترامى
فوق جثتها
يتاماها الصغار
هاهنا انطفأ النهار
واختبا رأسُ العروبةِ
مثلما رأسُ النعامة
زمجرت حولي المدافعُ والقنابلْ
واعتلى صوتُ الخيانةِ صائحا
قف تصبر
قف تبصر
احذر الإرهابَ احذر
لا تقاومْ .. لا تقاتلْ
انحن للريح دوماً
كانحَناءاتَ السنابل
قال أصحابُ
السيادة
والقيادةَ
والسعادة... والفخامة
ثم.. في طرفة عين
هزني صوتٌ تجلجلَ
من سماء الله نازل
لستَ ترمي حَينما ترمي
فإني..
أنا من يرمي
فقاتل
وامتشق سهمي
وناضل
من سهام ماضيات
مدّ لي ربيً سهامه
ناصبا عودي انطلقتُ
في حمى الله انتفضتُ
كان صوتُ الله يعلو
كنتُ أمضي.. كنت أعلو
رافعاً للنصرِ هامة
سالكاً دربا تجلى
في ثنايا اعتزازٌ
في نهايته..
الكرامة
شكرا لجمال أرواحكم